

## سورة غافر

هي مكية إلا آيتي ٥٦، ٥٧ فدينيتان ، وآيها خمس وثمانون ، نزلت بعد سورة الزمر .  
ومناسبتها ما قبلها :

- (١) إنه ذكر في سابقتهما ما يشول إليه حال الكافر وحال المؤمن ، وذكر هنا أنه غافر الذنب ، ليكون ذلك استدعاء للكافر إلى الإيمان والإقلاع عن الكفر .
- (٢) إنه ذكر في كل منهما أحوال يوم القيامة ، وأحوال الكفار فيه وهم في المحشر وهم في النار .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : آل حم ديباج القرآن ، وعنه أيضا إذا وقعت في آل حم فقد وقعت في روضات دمثات أتأثق فيهن . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إن لكل شيء لبابا ولباب القرآن آل حم ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لكل شيء ثمرة ، وإن ثمرة القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات ، فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم » . وعنه أيضا « مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبريات في الثياب » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ (٣) .

## الإيضاح

(حم) تقدم الكلام في أمثال هذه الحروف المقطعة في أوائل السور بما يغني عن إعادته هنا ، وقد اخترنا هناك أن أحسن الآراء في ذلك أنها كلمات يراد بها

التبنيه في أول الكلام نحو (ألا) و (يا) وينطق بأسمائها فيقال (حاميم) بتفخيم الألف وتسكين الميم، ويجمع على حواميم وحواميات، وأنكر ذلك الجواليقي والحريري وابن الجوزي وقالوا لا يقال ذلك بل يقال آل حم، ويؤيد ذلك أن صاحب الصحاح نقل عن الفراء أن قول العامة الحواميم ليس من كلام العرب، وحديث ابن مسعود وقدم تقدم: إذا وقعت في آل حم فقد وقعت في روضات دمشق أتأنيق فيهن، وعلى هذا قول السكيت بن زيد في الهاشميات.

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومُعزب  
يريد بذلك قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»  
(تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) أي هذا القرآن تنزيل من الله الغالب  
القاهر في ملكه الكثير العلم بخلقهم وبما يقولون وما يفعلون.

وفي هذا إيحاء إلى أنه ليس بمنقول ولا بما يجوز أن يكذب به  
(غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) أي وهو الذي يغفر  
مسلف من الذنوب، ويقبل التوبة في مستأنف الأزمنة لمن تاب وخضع، وهو شديد  
العقاب لمن تمرد وطفى وآثر الحياة الدنيا وعتا عن أوامر الله وبنى، المتفضل على  
عباده، المتطول عليهم بما هم فيه من المن والنعمة التي لا يطيقون القيام بشكرها ولاشكر  
واحدة منها كما قال: «وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا»

وقد ذكر غافر الذنب وقابل التوب لترغيب عباده العاصين، وذكر شديد  
العقاب لترهيبهم، وفي مجموع هذا الحث على فعل المراد من تنزيل الكتاب وهو  
التوحيد والإيمان بالبعث والإخلاص لله في العمل والإقبال عليه، وقد جمع القرآن  
هذين الوصفين في مواضع كثيرة منه كقوله: «نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»  
«وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ» ليقى العبد بين الرجاء والخوف.

(لا إله إلا هو) فلا نظيره ، فيجب اتباع أوامره وترك نواهيه .  
 (إليه المصير) أى إليه وحده المرجع والمآب ، فيجازى كل نفس بما كسبت .  
 أخرج أبو عبيد وابن سعد وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة  
 رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حم المؤمن إلى —  
 إليه المصير ، وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ، ومن قرأها حين  
 يمسى حفظ بهما حتى يصبح » .

مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَمُرُّكَ تَقْلِبُهُمْ  
 فِي الْبِلَادِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ  
 كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ  
 فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ  
 كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦)

### شرح المفردات

الجدل : شدة اللدد فى الخصومة ، تقلبهم : أى تصرفهم فيها للتجارة وطلب  
 المعاش ، والأحزاب : الجماعات الذين تحزبوا واجتمعوا على معاداة الرسل ، وهمت :  
 أى عزمت ، لياخذوه : أى ليقتلوه ويعذبوه ، ليدحضوا : أى ليزيلوا ، حقت : أى  
 وجبت ، كلمة ربك : أى حكمه بالإهلاك .

### المعنى الجملى

بعد أن بين سبحانه أن القرآن كتاب أنزله لهداية الناس وسعادتهم فى دنياهم  
 وآخرتهم إذا هم عملوا بهديه — ذكر أحوال من يجادل فيه لغرض إبطاله وإخفاء

نوره ، ثم أرشد رسوله ألا يغتر بأحوال أولئك المجادلين وتركهم سالمين في أبدانهم وأموالهم يتصرفون في البلاد للتجارة لسعة الرزق واتمتع بزخرف الدنيا ، فإنه سيأخذهم أخذ عزيز مقتدر كما فعل بأمثالهم من الأمم الماضية ممن كذبوا رسلهم فحل بهم البوار في الدنيا وسينزل بهم النكال في الآخرة في جهنم وبئس القرار .

## الإيضاح

( ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا ) أى ما يخاصم في القرآن بالطعن فيه وتكذيبه كفولهم مرة إنه شعر ، وأخرى إنه سحر ، وثالثة إنه أساطير الأولين إلى أشباه ذلك من سخيف المقال — إلا الذين جحدوا به وأعرضوا عن الحق مع ظهوره .

وهذا النوع من الجدل هو المذموم ، وإني الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر » أما الجدل لتقرير الحق وإيضاح الملتبس ، وكشف المعضل ، واستنباط المعاني ، ورد أهل الزيغ بها ، ورفع اللبس ، ودفع ما يتعلق به المبطلون من متشابهات القرآن ، فهو وظيفة الأنبياء ، ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم نوح لنوح « يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا » .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية ، فخرج يعزف في وجهه الغضب ، فقال إنما هلك من كان قبلهم باختلافهم في الكتاب ، رواه مسلم .

وقال أبو العالية : آيتان ما أشدهما على : « مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا » الآية ، وقوله : « وَإِنَّ الَّذِينَ اختلفُوا فِي الْكِتَابِ لِيُشِقَّاقِي بَعِيدٍ » . ولما حكم سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر نهى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يغتر بشيء من حظوظهم الدنيوية فقال .

( فلا يفررك تقلبهم في البلاد ) أى فلا يفررك ما يفعلونه من التجارة النافقة .

في البلاد ، وما يحصلون عليه من المكاسب في رحلة الشتاء في اليمن ورحلة الصيف في الشام ، ثم يرجعون سالمين غانمين ، فإنهم معاقبون عما قليل ، وهم وإن أهملوا فإنهم لا يهملون . قال الزجاج : لا يغررك سلامتهم بعد كفرهم ، فإن عاقبتهم الهلاك . وفي هذا أسلية له صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم .

ثم قال مسلياً رسوله عن تكذيب من كذبه من قومه ، بأن له أسوة في سلفه الأنبياء ، فإن أقوامهم كذبوه وما آمن منهم إلا قليل فقال :

( كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم ) أى كذبت قوم نوح والأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب فحلت بهم نعمتنا بعد بلوغ أمدهم كما هي سنتنا في أمثالهم من المكذبين كهاد وتمود ومن بعدهم ، وكانوا في جدهم على مثل الذى عليه قومك .

( وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه ) أى وحرصت كل أمة على تعذيب رسولهم بحبسه وإصابة ما أرادوا منه . وقال قتادة والسدى ليقتلوه ، فقد جاء الأخذ بمعنى الإهلاك في قوله تعالى : « فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ » .

( وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ) أى وخاصموا رسولهم بالباطل بإيراد الشبه التى لاحقيقة لها كقولهم : « مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا » ليطلوا به الحق الذى جاء به من عند الله ، وليطفثوا النور الذى أوتيه . قال يحيى بن سلام : جادلوا الأنبياء بالشرك ليطلوا الإيمان .

( فأخذتهم فكيف كان عقاب ) أى فأهلكتهم واستأصلت شأفتهم فلم أبق منهم دياراً ولا نافخ نار وصاروا كأمس الدابر ، وإنكم لتمرون على ديارهم مصبحين وممسين كما قال : « وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ . وَ بِاللَّيْلِ أَفْلاَ تَعْقِلُونَ » وهكذا سافعل بقومك إن هم أصروا على الكفر والجدل في آيات الله وإلى ذلك أشار بقوله .

(وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) أى وكما حق على الأمم التى كذبت رسلها ، وقصصت عليك خبرها أن يحل بها عقابى — وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك ، لأن الأسباب واحدة وهى كفرهم وعنادهم للحق واهتمامهم بإطفاء نور الله الذى بثه فى الأرجاء لإصلاح نظم العالم وسعادته فى دينه ودنياه ، وارتقاء النفوس البشرية والسمو بها عن الاستخذاء إلى شجر أو حجر أو حيوان طمعا فى خير يرجى منه وشفاعاة تنفع عند الله .

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ  
بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا  
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ  
جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ  
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ  
فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)

### شرح المفردات

العرش : مركز تدير العالم كما تقدم إيضاح ذلك فى سورة يونس ، وندع أمر وصفه إلى الله عالم الغيب فهو العليم بعرضه ووصفه ، وقهم : أى احفظهم من وقته كذا أى حفظه ، السيئات : أى الجزاء المرتب عليها .

### المعنى الجملى

بعد أن أبان ما أظهره المشركون للمؤمنين من العداوة ، ومجادلتهم للرسل بالباطل ، لإطفاء نور دعوتهم — أردف ذلك بيان أن أشرف مخلوقات وهم

الملائكة الذين يحملون العرش والحافون حول العرش — يحبون المؤمنين ويطلبون لهم المغفرة من ربهم ، فلا تبال أيها الرسول بهؤلاء المشركين ولا تقم لهم وزنا ، وكفاك نصرة حملة العرش والحافين حوله .

## الإيضاح

( الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ) أى إن الملائكة الذين يحملون عرش ربهم ، والملائكة الذين هم حوله ينزهون الله متلبسين بحمده على نعمه ، ويقولون بأن لا إله إلا هو ولا يستكبرون عن عبادته ، ويسألون أن يغفر لمن أقرؤا بمثل ما أقرؤاه من توحيد الله والبراءة من كل معبود سواه .

ونحن نؤمن بما جاء في الكتاب الكريم من حمل الملائكة للعرش ، ولا نبحث عن كيفيةه ولا عن عدد الحاملين له ، فإن ذلك من الشؤون التي لم يفصلها لنا الكتاب ولا السنة المتواترة فنكل أمر علمها إلى ربنا ، وعلمنا التسليم بما جاء في كتابه .

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الحمل يراد به التدبير والحفظ ، وأن الخفيف والطواف بالعرش يراد به القرب من ذي العرش سبحانه ، ومكانة الملائكة لديه ، وتوسطهم في نفاذ أمره .

ثم بين سبحانه كيفية استغفارهم للمؤمنين فقال حاكيا عنهم :  
( ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ) أى وسعت رحمتك وعلتك كل شيء من خلقك ، والمراد أن رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم ، وعلتك يحيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم .

( فاعف عن الذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ) أى فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأقلعوا عن ذنوبهم ، واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك

المفكرات ، واجعل بينهم وبين عذاب الجحيم وقاية بأن تلزمهم الاستقامة ، وتم نعمتك عليهم ، فإنك وعدت من كان كذلك بالبعد عن هذا العذاب ولا يبدل القول لديك . قال مُطَرِّف بن عبد الله : وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة ، ووجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشيطان ، وتلا هذه الآية .

وقال خلف بن هشام البزار القارىء : كنت أقرأ على سليم بن عيسى ، فلما بلغت « **وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا** » بكى ، ثم قال يا خلف : ما أكرم المؤمن على الله ، يكون ناعماً على فراشه والملائكة يستغفرون له .

( ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ) أى ربنا وأدخلهم الجنات التي وعدتهم إياها على السنة رسلك ، وأدخل معهم في الجنة الصالحين من الآباء والأزواج والذرية ، لتقر بهم أعينهم ، فإن الاجتماع بالأهل والعشيرة في موضع السرور يكون أكمل للبهجة وأتم للأنس .

قال سعيد بن جبير : يدخل الرجل الجنة فيقول يارب أين أبى وجدى وأمى ؟ وأين ولدى وولد ولدى ؟ وأين زوجاتى ؟ فيقال إنهم لم يعملوا كعملك ، فيقول : يارب كنت أعمل لى وهم ، فيقال أدخلوهم الجنة ، ثم تلا : « **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ** » إلى قوله : « **وَمَنْ صَاحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ** » . ويقرب من هذه الآية قوله : « **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** » .

( إنك أنت العزيز الحكيم ) أى أنت الغالب الذى لا يمتنع عليه مقدور ، الحكيم الذى لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة من الأمور .

ثم عمموا في الدعاء لهم بأن يمتنع عنهم العقوبات الدنيوية والأخروية فقالوا :

( وقهم السيئات ) أى واصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا قد أتوها

قبل توبتهم ، ولا تؤاخذهم بذلك فتعذبهم به . . .

(ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) أى ومن تصرف عنه سوء عاقبة ما ارتكب من السيئات يوم القيامة فقد رحمته ونجيته من عذابك .  
 (وذلك هو الفوز العظيم) أى وهذا هو الفوز الذى لا فوز أجمل منه ، ولا مطمع وراءه لاطمع ، إذ وجدوا بأعمال منقطعة نعيما لا ينقطع ، وبأفعال قليلة ملكا لا تصل العقول إلى كنهه جلالة .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَلَأْتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ  
 إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخِيَّتَنَا  
 اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ، فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ؟ (١١) ذَلِكَ  
 بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ، وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ ثَوَّمْتُمْ فَأَلْحَمْكُمْ  
 اللَّهُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (١٢) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ  
 السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ  
 وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ  
 أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ  
 لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ، لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦)  
 الْيَوْمَ يُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ  
 الْحِسَابِ (١٧) .

## شرح المفردات

الملت : أشد البغض ، والروح : الوحي ، يوم التلاقى : هو يوم القيامة ؛ وسمى بذلك لالتقاء الخالق بالخلق ، بارزون : أى ظاهرون لا يسترهم جبل ولا أكمة ولا تحوهما .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه فيما سلف أحوال المشركين الجادلين فى آيات الله — أردف ذلك ببيان أنهم يوم القيامة يعترفون بذنوبهم وباستحقاقهم ما سيحل بهم من النكال والوبال ، ويسألون الرجوع إلى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم .  
وبعد أن هددهم أعقب ذلك بما يدل على كمال قدرته وحكمته بإظهاره للآيات وإزاله للأرزاق ، وأنه أرفع الموجودات ، لأنه مستغن عن كل ماسواه ، وكل ماسواه محتاج إليه ، وأنه ينزل الوحي على من يشاء من عباده ، لينذرهم يوم الجزاء والحساب .

## الإيضاح

( إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ) أى إن الكافرين تناديهم الملائكة يوم القيامة وهم يتلظون النار ويذوقون العذاب فيمقتون أنفسهم ويبغضونها أشد البغض بسبب ما أسلفوا من سيئ الأعمال التى كانت سبب دخولهم فى النار — إن مقت الله لكم فى الدنيا حين كان يعرض عليكم الإيمان فتكفرون — أشد من مقتكم أنفسكم اليوم وأتم على هذه الحال .

والخلاصة — إن مقت الله لأهل الضلال حين عرض عليهم الإيمان فى الدنيا

فتركوه وأبوا أن يقبلوه حتى أكبر مما مقتوا أنفسهم حين طابوا عذاب الله يوم القيامة ، قاله قتادة ومجاهد والحسن البصرى وابن جرير .  
ثم ذكر ما يقولونه حين يخاطبون بهذا الخطاب فقال :

( قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ) أى قالوا ربنا خلقتنا أمواتا وأمتنا حين انقضاء آجالنا ، وأحييتنا أولا بنفخ الأرواح فينا ونحن فى الأرحام ، وأحييتنا باعادة أرواحنا إلى أبداننا حين البعث نقله ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس وابن مسعود ، وجعلوا ذلك نظير آية البقرة : « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ » .  
( فاعترفوا بذنوبنا ) أى فاعترفوا أنهم أنكروا البعث فكفروا وفعلوا من الذنوب ما لا يحصى عدا ، لأن من لم يخش عاقبة عقاب في غيبه ، ولكن حين رأوا الإماتة والإحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على الإعادة قدرته على الإنشاء فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها .

ثم طلبوا الرجوع إلى الدنيا لإصلاح ما فاتهم فقالوا :

( فهل إلى خروج من سبيل ) أى فهل أنت معيدنا إلى الدنيا لنعمل غير الذى

كنا نعمل فإنك قادر على ذلك .

وهذا أسلوب يستعمل فى التخاطب حين اليأس ، قاله تحميرا أو تمللا عسى أن

يتاح لهم الفرج .

ونحو الآية قوله : « وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ .

رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَانْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » وقوله : « رَبَّنَا

أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ . قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ » .

فما كان جوابهم عما طلبوا إلا الرفض البات مع ذكر السبب فقال :

(ذلك بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا) أى لاسبيل إلى رجعتكم إلى الدار الدنيا ، لأن طباعكم لا تقبل الحق بل تنفيه ، فإنكم كنتم فيها إن دعى الله وحده كفرتم وأنكرتم أن تكون الألوهية له خاصة ، وإن أشرك به مشرك صدقتموه وآمنتم بقوله ، فأنتم هكذا تكونون لو رُدُّدتم إلى الدنيا كما قال : « وَلَوْ رُدُّوا لَمَأْذُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » .

ثم ذكر ما ترتب على أعمالهم التي عملوها وما ضروا إلا أنفسهم فقال :  
(فالحكم لله العلي الكبير) أى فالحكم حينئذ لله الذى لا يحكم إلا بالحق ، ولا يقضى إلا بما تقتضيه الحكمة ، وهو ذو الكبرياء والعظمة الذى ليس كمثل شئ .  
ومن ثم اشتدت سطوته بمن أشركوا به ، واقتضت حكمته خلودهم فى النار ، فلا سبيل إلى خروجكم منها أبدا إذ أشركتم به سواه .  
ثم ذكر ما يدل على كبريائه وعظمته فقال :

(هو الذى يريك آياته) أى هو الذى يظهر قدرته لخلقها بما يشاهدونه فى العالم العلوى والسفلى من الآيات العظام الدالة على كمال خالقها وقدرته مبدعها وتفرده بالألوهية كما قال :

وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

ثم خصص من هذه الآيات ما هم فى أشد الحاجة إليه وهو المطر فقال :  
(وينزل لكم من السماء رزقا) أى وهو الذى ينزل لكم المطر الذى يخرج به من الزرع والثمار ما تشاهدونه مما هو مختلف الألوان والطعوم والروائح والأشكال ، مما أبدعته يد القدرة ووشته بأبداع الخلق والمناظر .

(وما يتذكر إلا من ينيب) أى وما يعتبر بتلك الآيات ، ويستدل بها على عظمة خالقها ، إلا من ينيب إلى ربه ، ويتفكر فى بديع ما خلق ، وعظيم ما أوجد ويترك التقليد واتباع الهوى .

والخلاصة — إن دلائل التوحيد مركوزة في العقول لا يمججها إلا الاشتغال بعبادة غير الله ، فإذا أناب العبد إلى ربه زال الغطاء ، وظفر بالفوز ، وظهرت له سبل النجاة .

ولما ذكر ما نصبه من الأدلة على التوحيد أمر عباده بدعائه وإخلاص الدين له فقال :

( فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ) أى إذا كان الأمر كما ذكر من اختصاص التذكير بمن ينيب فادعوا الله وحده مخلصين له العبادة التي أمركم بها ، وخالفوا المشركين في مسالكهم ، ولا تلتفتوا إلى كراهتهم لذلك ، ودعومهم بموتوا بغيظهم وبهلكوا بحسرتهم .

وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن الزبير « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عقب الصلوات المكتوبة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ادعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء غافل لاه » .

وبعد أن ذكر من صفات كبريائه كونه مظهرا للآيات منزلا للأرزاق — ذكر ثلاث صفات أخرى تدل على الجلال والعظمة فقال :

(١) ( رفيع الدرجات ) أى إنه أرفع الموجودات وأعظمها شأنًا ، لأن كل شيء محتاج إليه ، وهو مستغن عما عداه ، وإنه أزلى أبدى ليس لوجوده أول ولا آخر ، وإنه العالم بكل شيء « وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ » .

(٢) ( ذو العرش ) أى إنه مالك العرش ومدبره ، فهو مستول على عالم الأجسام

وأعظمها العرش ، كما هو مستول على عالم الروحانيات وهي مسخرة له ، وإلى ذلك أشار بقوله :

(٣) ( يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده ) أى يلقى الوحي بقضائه على من يشاء من عباده الذين يصطفيهم لرسالته ، وتبليغ أحكامه إلى من يريد من خلقه .

ونحو الآية قوله : « يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ » وقوله : « وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ » .

( لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون ) أى لينذر بالعباد يوم يلتقى العابدون والمعبودون ، يوم هم ظاهرون لا يكتمهم شيء ، ولا يستترهم شيء .

( لا يخفى على الله منهم شيء ) فيعلم ما فعله كل منهم ، فيجازيه على حسب ما قدمت يده ، إن خيرا نخير وإن شرا فشر .

ونحو الآية قوله : « يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ » .

ويقال عند بروز الخلق :

( لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار ) أى يقول الرب تعالى : لمن الملك اليوم ؟

فلا يجيبه أحد ، فيجيب سبحانه فيقول ذلك أى هو الواحد الذى لا مثل له ، القهار لكل شيء سواء بقدرته ، الغالب بعزته . وقيل : الحبيب هم أهل المحشر فقد روى أبو وائل عن ابن مسعود قال : يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءٍ مِثْلَ الْقِضَّةِ لَمْ يُعْصِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا ، فَيُؤَمَّرُ مَنَادٌ ينادى « لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ » فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم « لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ » يقول المؤمنون هذا الجواب سرورا وتلذذا ، ويقول الكافرون غما وانقيادا وخضوعا .

وبعد أن ذكر صفات قهره في ذلك اليوم — أردفها ببيان صفات عدله وفضله فقال :

( اليوم تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ) أى اليوم يثاب كل عامل بعمله ، فيلاقى أجره ، ففاعل الخير يجزي الخير وفاعل الشر يجزي بما يستحق ، لا يبخس أحد ما استوجبه من أجر عمله في الدنيا فينتص منه إن كان محسناً ، ولا يحمل على مسمى ، إنم ذنب لم يعمله .

روى مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه « يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا — إلى أن قال — يا عبادى إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ، ثم أوفيك إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ثم بين سبحانه أنه يصل إلى الخلق في ذلك اليوم ما يستحقون بلا إبطاء فقال :

( إن الله سريع الحساب ) أى إن الله سريع حسابه لعباده على أعمالهم التي عملوها في الدنيا ، فيحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفساً واحدة ، لإحاطة علمه بكل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة .

أخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود قال : « يجمع الله الخلق كلهم يوم القيامة بصعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط ، فأول ما يتكلم أن ينادى مناد من الملك اليوم — إلى قوله الحساب » .

ونحو الآية قوله : « مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ » وقال : « وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَفِ بِالنَّبْرِ » .

وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآرِثَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَمْلِكُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ

(١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)

### شرح المفردات

يوم الآزفة : يوم القيامة وسميت بذلك لقربها ؛ يقال أزف السفر : أى قرب ، قال :  
أزف الترحلُ غير أن ركابنا لما تركنا برحالتنا وكان قد

والحناجر : واحدها حنجرة أو حنجور كالحقوم لفظا ومعنى ، وهى لجمة بين الرأس  
والعنق ، كاظمين : أى مسكبين أنفسهم على قلوبهم لئلا تخرج ، والحيم : القريب ،  
خائنة الأعين : يراد بها النظر إلى ما لا يحل ، ما تخفى الصدور : أى ما تكتمه الضمائر.

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر فيما سلف أن الأنبياء يندرون الناس بيوم التلاقى — أعقب ذلك  
بذكر أوصاف هائلة تصطبك منها السامع وتشيب من هولها الولدان لهذا اليوم المهييب

### الإيضاح

( وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ) أى وأنذر أيها الرسول  
مشركى قومك يوم القيامة ، ليقلعوا عن قبيح أعمالهم ، وذمهم معتقداتهم التى  
يستحقون عليها شديد العذاب ، ذلك اليوم الذى يعظم فيه الخوف حتى ليخيل أن  
القلوب قد شخصت من الصدور ، وتعلقت بالحولق ، فيرتمون ردها إلى مواضعها من  
صدورهم ، فلا هى ترجع ولا هى تخرج من أبدانهم فيموتوا

ثم بين أنه لا ينفع الكافرين فى ذلك اليوم أحد فقال :

( ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ) أى ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك

بالله قريب يفنعمهم ، ولا شفيع تقبل شفاعته لهم ، بل تقطعت بهم الأسباب من كل خير .

ثم وصف سبحانه شمول علمه بكل شيء وإن كان في غاية الخفاء فقال :

( يعلم خائنة الأعين ) أى يعلم ربكم ما خانت أعين عباده وما نظرت به إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب ، قال ابن عباس في الآية : هى الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم أنه يفض بصره عنها ، وإذا غصوا نظر إليها ، وإذا نظروا غص بصره عنها . وقد اطلع الله من قلبه أنه ودّ أن ينظر إلى عورتها ، أخرجه ابن أبى شيبة وابن المنذر .

( وما يخفى الصدور ) أى لا يخفى عليه شيء من أمورهم حتى ما يجدون به أنفسهم وتضره قلوبهم .

( والله يقضى بالحق ) أى والله يحكم بالعدل فى الذى خائنه الأعين بنظرها ، وأخفته الصدور من النوايا ، فيجزى الذى أغمضوا أبصارهم وصرفوها عن محارمه حذار الموقف بين يديه بالحسنى ، ويجزى الذين رددوا النظر ، وعزمت قلوبهم على مواقمة الفواحش جزاءهم الذى أوعدهم به فى دار الدنيا .

( والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ) أى والأوثان والآلهة التى يعبدونها هؤلاء المشركون من قومك — لا يقضون بشيء لأنهم لا يعملون شيئاً ولا يقدرّون على شيء ، فاعبدوا الذى يقدر على كل شيء ، ولا يخفى عليه شيء .

وغير خافٍ ما فى هذا من التهمك بالهتتم .  
( إن الله هو السميع البصير ) أى إنه تعالى هو السميع لما تنطق به الألسنة ، البصير بما تفعلون من الأفعال ، وهو محيط بكل ذلك ومحصيه عليكم ، فيجازيكم عليه جميعاً يوم الجزاء .

ولا يخفى ما فى هذا من الوعيد لهم على ما يقولون ويفعلون ، والتعريض بحال ما يدعون من دون الله .

أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ  
 قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ  
 وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاكِ (٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ  
 بِالْبَيِّنَاتِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)

### المعنى الجملى

بعد أن بالغ سبحانه في تحوير الكفار بعذاب الآخرة — أردفه بتخويفهم  
 بعذاب الدنيا ، فطلب إليهم أن ينظروا إلى من قبلهم عن كانوا أشد منهم قوة ،  
 فأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، إذ كذبوا رسلهم حين جاءوهم بالبينات .

### الإيضاح

حذر الله هؤلاء المشركين مما حل عن قبلهم من الأمم التي كانت أقوى منهم  
 وأعظم آثاراً كعاد وتمود ، « والسعيد من وعظ بغيره » فقال واعظا ومذكراً :  
 ألم يسر هؤلاء المشركون بالله في البلاد فيروا عاقبة الذين كانوا من قبلهم من الأمم  
 ممن سلكوا سبيلهم في الكفر وتكذيب الرسل ، وقد كانوا أشد منهم بطشاً ، وأبقى  
 في الأرض آثاراً ، فلم تنفعهم شدة قوam ، ولا عظيم آثارهم إذ جاء أمر الله ، فأخذوا  
 بما أجرموا من المعاصي واكتسبوا من الآثام ، فأبيدوا جميعاً وصارت مساكنهم  
 خاوية بما ظلموا ، وما كان لهم من عذاب الله من حافظ يدفعه عنهم ؟

### قصص موسى عليه السلام مع فرعون

وَإِذْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ  
 وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا

قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ  
إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي  
أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ  
مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ  
الْحِسَابِ (٢٧)

### شرح المفردات

السلطان : الحجة والبرهان ، فرعون : ملك القبط بالديار المصرية ، وهامان  
وزيره ، وقارون كان أكثر الناس في زمانه تجارة ومالا ، عدت : التجأت  
وتحصنت ، متكبر : أى مستكبر عن اتباع الحق .

### المعنى الجملى

لما سلى رسوله بذكر عاقبة الكفار الذين كذبوا بالأنبياء قبله بمشاهدة آثارهم—  
سلاه أيضا بذكر قصص موسى مع فرعون مع ما أوتى من الحجج الباهرة ، كذبه  
فرعون وقومه وأمروا بقتل أبناء بنى إسرائيل ، وأمر فرعون بقتل موسى خوفاً أن  
يبدل دينهم أو يعيث في الأرض فساداً ، فتعوذ موسى بربه ورب بنى إسرائيل  
من كل جبار متكبر لا يؤمن بالجزاء والحساب .

### الإيضاح

( ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا  
ساحر كذاب ) يقول سبحانه مسلماً نبيه عن تكذيب من كذبه من قومه ، ومباشراً  
له بأن العاقبة والنصر له في الدنيا والآخرة كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام ،

فإن الله أرسله بالآيات البيّنات إلى فرعون وهامان وقارون فكذبوه وجعلوه ساجداً  
مجنوناً حين عجزوا عن معارضته .

وخص فرعون وهامان وقارون بالذكر، لأنهم الرؤساء المكذّبون والناس تبع لهم .  
ولما عجزوا عن مقارعة الحجّة بالحجة لجئوا إلى استعمال القوة كما هو دأب  
الخبجوج المغلوب على أمره ، وإلى هذا أشار بقوله :

( فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم )  
أى فلما جاءتهم الآيات البيّنات الدالة على توحيد الله ووجوب العمل بطاعته ، قالوا  
غيظاً وحسناً وعجزاً عن المعارضة : اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه من أبناء بنى إسرائيل  
وأبقوا نساءهم لخدمتنا .

قال قتادة : هذا قتل غير القتل الأول ، لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل  
الولدان بعد ولادة موسى ، فلما بعث الله موسى أعاد القتل على بنى إسرائيل عقوبة  
لهم فكان يأمر بقتل الذكور وترك الإناث ليتمتعوا من الإيمان ، ولثلاثي أكثر جمعهم  
ويشتمد عضدهم بالذكور من أولادهم ، لكن الله شغلهم عن ذلك بما أنزل عليهم  
من أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان إلى أن خرج بنو إسرائيل  
من مصر .

وإلى هذا أشار سبحانه بقوله :

( وما كيد الكافرين إلا في ضلال ) أى وما مكروهم وقصدهم وهو تقليل عدد  
بنى إسرائيل لثلاثي ينصروا عليهم — إلا ذاهب سدى وباطلا ، فإلناس لا يمتنعون  
من الإيمان وإن فعل بهم ما فعل ، وإن القدر المقدور لا محالة نافذ والقضاء المحتوم  
لا بدّ واقع ، والنصر حليف المؤمنين ، كما وعد في كتابه المكنون « كَتَبَ اللهُ  
لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي » .

والخلاصة — إن ما أظهره من الإبراق والإرعاد سيضمحل لأحالة ويذهب  
هباء أمام تلك القوة القاهرة وسيكون النصر للمتقين .

ثم ما كفاهم قتل البنين واستحياء البنات من بنى إسرائيل بل أرادوا أن يجتشوا هذه الشجرة من أصلها كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله :

( وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه ) أى وقال فرعون لملكه : دعونى أقتل موسى وليدع ربه الذى أرسله إلينا ليمنمنا منا ، وكان إذا هم بقتله كفه وقالوا له : ليس هذا بالذى يخاف منه وهو أضعف من ذلك شأننا ، وما هو إلا ساحر يصاوله ساحر مثله ، وإنك إن قتلته أدخلت الشبهة فى نفوس القوم واعتقدوا أنك عجزت عن مقابلة الحجة بالحجة ، وما يزالون به هكذا يحاورونه ويداورونه حتى يكف عن قتله .

وربما يكون قد قال ذلك تمويهاً على قومه وإيهاماً أن حاشيته هم الذين يكفونه عن قتله ، وما يكفه عن ذلك إلا ما فى نفسه من هول الفرع الذى استحوذ عليه ، كما يرشد إلى ذلك قوله « وَأَيَّدَعُ رَبَّهُ » فإن ظاهره الاستهانة به بدعائه وبه سبحانه ؛ كما يقال : ادع ناصرَكَ فإنى منتقم منك ، وباطنه أن فرائضه كانت ترتعد من دعائه ربه ، فلهذا تكلم بما تكلم به مظهراً أنه لا يبالي بدعائه ربه ، كما يقول القائل ذرونى أفضل كذا وما كان فليكن .

ثم ذكر السبب فى قتله فقال :

( إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد ) أى إني أخاف أن يفسد موسى عليكم أمر دينكم الذى أتم عليه من عبادة غير الله ويدخلكم فى دينه الذى هو عبادة الله وحده ، أو يوقع بين الناس الخلاف والفتنة ، إذ يجتمع إليه العمل الشرُّد ويكثر من الخصومات والنمازعات وإثارة القلاقل والاضطرابات ، فتتعطل المزارع والتاجر وتعدم المكاسب .

والخلاصة — إبه يقول : إني أخاف أن يفسد عليكم أمر دينكم بالتبديل ، أو يفسد عليكم أمر دنياكم بالتعطيل ، وهما أمران أحلاهما مَرٌّ .

وقد جعل ظهور مادعا إليه موسى وانتشاره في الأرض واهتداء الناس به فساداً ، وليس الفساد إلا ما هو عليه هو ومن تابعه .

ولما هدد فرعون موسى بالقتل استعاذ بالله من كل متعظم عن الإيمان به لا يؤمن بالبعث والنشور ، فصانه من كل بلية ، وإلى ذلك أشار بقوله :

( وقال موسى إني هدت ربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب )  
 أي إني استجرت بالله ربي وربكم واستعنت به من شر كل متكبر لا يدعن للحق ، ولا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه الخلاق ، فيجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بما أساء ، وإنما خص الاستعاذة بمن جمع بين الاستكبار والتكذيب بالجزاء ، لأنهما عنوان قلة المبالاة بالعواقب ، وعنوان الجرأة على الله وعلى عباده ، فمن لم يؤمن بيوم الحساب لم يكن للثواب على الإحسان راجياً ، ولا من العقاب على الإساءة وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفاً .

وفي قوله ( ربي وربكم ) حث لهم على موافقته في العياد به سبحانه ، والتوجه إليه جل شأنه بالأرواح ، فالأرواح الطاهرة إذا تظاهرت كان ذلك أدنى إلى الإجابة ، وأقرب إلى تحقق الغرض ، ومن ثم شرعت صلاة الجماعة ، وإنما قال ( من كل متكبر ) ولم يقل « منه » سلوكاً لطريق التعريض ، وتحاشياً مما قد يعرض له من الأذى إذا هو سمع كلامه فهو وافٍ بالغرض ومبين للملة التي لأجلها أبي واستكبر .

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ : أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا  
 أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ؟ وَإِنَّ يَكُ كَاذِبًا  
 فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ، وَإِنَّ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ  
 لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ

ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ؟ قَالَ فِرْعَوْنُ  
مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) .

### شرح المفردات

الرجل المؤمن : هو ابن عم فرعون ووليّ عهده وصاحب شرطته وهو الذي نجى  
مع موسى وهو المراد بقوله : « وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى » ، والبيّنات :  
هى الشواهد الدالة على صدقه ، والمسرف : المقيم على المعاصى المستكثر منها ، والكذاب  
المفتري ، ظاهرين : أى غالبين عالين على بنى إسرائيل ، ما أريكم إلا ما أرى :  
أى ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب .

### المعنى الجملى

بعد أن حكى عن موسى أنه مازاد حين سمع مقالة فرعون الداعية إلى قتله ،  
على أن استماذ بالله من شره — أردف ذلك ببيان أن الله قيض له من يدافع عنه  
من آل فرعون أنفسهم وينبئ عنه على أكمل الوجوه وأحسنها ، ويبالغ فى تسكين  
تلك الفتنة ، ويجتهد فى إزالة ذلك الشر .

### الإيضاح

( وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ، أقتلون رجلاً أن يقول ربي  
الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ ) أى وقال رجل من آل فرعون يكتم إيمانه منهم  
خوفاً على نفسه : أيتبينى لكم أن تقتلوا رجلاً مازاد على أن قال : ربي الله وقد  
جاءكم بشواهد دالة على صدقه ، ومثل هذه المقالة لا تستدعى قتلاً ولا تستحق عقوبة  
فاستمع فرعون لكلامه ، وأصغى لمقاله وتوقف عن قتله ، قال ابن عباس : لم يكن  
فى آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذى قال : « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ  
يَاتِمُّونَ بَيْتَكَ لِيَلْقُواكَ » .

وخلاصة ذلك — أترتكبون هذه الفعلة الشنعاء ، وهي قتل النفس الحرة من غير روية ولا تأمل ولا اطلاع على سبب يوجب قتله ؟ وما لكم علة في ارتكابها إلا كلمة الحق ، وهي قوله : ربى الله .

أخرج البخارى وغيره من طريق عروة بن الزبير قال : قيل لعبد الله بن عمرو ابن العاص : أخبرنا بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديداً ، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبيه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ؟ » .

وأخرج البزار وأبو نعيم فى فضائل الصحابة عن على بن أبى طالب أنه قال : « أيها الناس أخبرونى من أشجع الناس ؟ قالوا أنت ، قال أما إني ما بارزت أحدا إلا انتصفت منه ، ولكن أخبرونى عن أشجع الناس ؟ قالوا لانعم ، فمن ؟ قال أبو بكر : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش فهذا يحجوه ، وهذا يتتلته ، وهم يقولون : أنت الذى جعلت الآلهة إلهاً واحداً ، قال : فوالله ما دانا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ، ويمجأ هذا ويتتل هذا ، وهو يقول : ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ؟ ثم رفع برده كانت عليه فبكى حتى اخضت لحينه ، ثم قال : أشدكم : أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ فسكت القوم ، فقال : ألا تحجيبون ؟ فوالله لساعة من أبى بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه ، فأنى الله عليه فى كتابه ، وهذا رجل أعلن إيمانه وبذل ماله ودمه . »

ثم ذكر من الحجج ما يؤيد به رأيه فقال :

(١) ( وإن يك كاذبا فليبه كذبه وإن يك صادقا يصبم بعض الذى يعدكم ) أى إن كان كاذبا فى قوله إن الله أرسله إليكم ليأمركم بجهادته وترك دينكم الذى أنتم عليه ،

فإنما إثم كذبه عليه دونكم ، وإن يك صادقا في قبيله ذلك أصابكم الذى أوعدكم به من العقوبة على مقامكم على الدين الذى أتم عليه مقيمون ، فلا حاجة بكم إلى قتله فتسخطوا ربكم سخطين : سخطا على الكفر ، وسخطا على قتل رسوله .

وفى قوله : بعض الذى يعدكم - مبالغة فى التحذير ، فإنه إذا حذرهم من بعض العذاب أفاد أنه مهلك مخوف فما بال كله ؟ إلى ما فيه من الإنصاف وإظهار عدم التعصب .

(٢) (إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) أى إنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله ، ولما عاضده بتلك المعجزات ، إلى أنه لو كان كذلك لخلذه الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله .

وفى هذا تعريض بفرعون بأنه مسرف فى القتل والفساد ، كذاب فى ادعاء الربوبية ، لا يهديه الله إلى سبيل الرشاد ، ولا يلهمه طريق الخير والفلاح .

(٣) (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا؟) أى يا قوم قد علوتم الناس وقهرتموهم ، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ، ولا تتعرضوا لئأس الله وعذابه بقتله ، فإنه لا يقبل لكم به ، وإن جاءنا لم يمنعه عنا أحد . وفى قوله : ينصرنا وجاءنا ، تطيب لقلوبهم ، وإيدان بأنه ناصح لهم ، ساع فى تحصيل ما يجديهم ، ودفع ما يرددهم ، سعيه فى حق نفسه ، ليتأثروا بنصحه .

ولما سمع فرعون ما قاله هذا الرجل من النصح جاء بمراوغة يوم بها قومه أنه لهم من النصيحة والرعاية بمكان مكين ، وأنه لا يسلك بهم إلا مسلكا يكون فيه جلب النفع لهم ودفع الضر عنهم كما حكى سبحانه عنه بقوله :

(قال فرعون ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) أى قال فرعون حجيبا هذا المؤمن الناهى عن قتل موسى : لا أشير عليكم برأى سوى ما ذكرته من وجوب قتله حسما للفتنة ، وإنى لأرى أن هذا هو سبيل الرشاد والصلاح ، ولا أعد غير هذا صوابا .

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠)  
 مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ  
 ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢)  
 يَوْمَ تُولَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَالِكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ  
 فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ  
 فَآزَلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ  
 مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ، كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤)  
 الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ  
 وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ؛ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ  
 جَبَّارٍ (٣٥) .

### شرح المفردات

الأحزاب : أى الأقوام الذين تجزوا على أنبيائهم وكذبهم ، والدأب : العادة ،  
 يوم التناد : يوم القيامة ، سمي بذلك لأن الناس ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة .  
 قال أمية بن أبى الصلت :

وبث الخلق فيها إذ دحاها فهم سكانها حتى التناد

عاصم : أى مانع ، مرتاب : أى شك فى دينه ، ويوسف : هو يوسف بن يعقوب  
 عليه السلام ، وروى عن ابن عباس أنه يوسف بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب ،  
 أقام فيهم نبيا عشرين سنة ، والسلطان : الحججة ، والمقت : أشد الغضب .

## المعنى الجملى

بعد أن سمع ذلك المؤمن رأى فرعون فى موسى وتصميمه على قتله ، وإقامة البراهين على صحة رأيه ، وأنه لاسبيل إلى العدول عن ذلك — أعاد النصيح مرة أخرى لقومه ، لعلمهم بروعون عن غيهم ويشوبون إلى رشدهم ، فذكرهم بأس الله وسنته فى المكذبين للرسل ، وضرب لهم الأمثال بما حل بالأحزاب من قبلهم كقوم نوح وعاد وثمود ، ثم ذكرهم بأهوال يوم القيامة ، يوم لا عاصم من عذاب الله ، ثم أعقب ذلك بتذكيرهم بما فعل آباؤهم الأولون مع يوسف من قبل من تكذيبهم برسالاته ورسالة من بعده ، فأحل الله بهم من البأس ما صاروا به مثلاً فى الآخرين ، وكان لسان حاله يقول : هأنذا قد أسمعتم ، ونصحت فما قصرت ، والأمر لكم فيما تفعلون .

## الإيضاح

( وقال الذى آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب . مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ) أى قال ناصحاً قومه : يا قوم إني أخاف عليكم إن كذبتم موسى وتعرضتم له بسوء أن يحل بكم مثل ما حل بالذين تحزبوا على أنبيائهم من الأمم الماضية وكذبوهم كقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم ، فقد نزل بهم من بأس الله وعذابه ما لم يجدوا له واقياً ولا عاصماً ، وهذه سنة الله فى المكذبين جميعاً ، فحذارِ حذارِ أيها القوم وإني لكم ناصح أمين ، وما أهلكهم إلا بسوء أفعالهم وعظيم ما اجتروا من الآثام والمعاصى وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . وإلى هذا أشار بقوله :

( وما الله يريد ظلماً للعباد ) أى وما أهلك الله هذه الأمم ظلماً لهم بغير جرم اجتروموه ، بل أهلكهم بإجرامهم وكفرهم ، وتكذيبهم رسله ، بعد أن جاءوهم بالبينات ، فأنفذ فيهم قدره ، وأحل بهم وعيده .

وبعد أن خوفهم العذاب الدنيوي خوفهم العذاب الآخروي فقال :

(وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد. يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم) أي إني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة حين ينادى بعضكم بعضا ، ليستغيث به من شدة الهول ، أو حين ينادى أصحاب الأعراف رجلا يعرفونهم بسيماهم ، وينادى « أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ قالوا نعم » وينادى « أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين » .

يوم تولون مدبرين هربا من زفير النار وشهيقها ، فلا يجديكم ذلك شيئا ، ولا تجدون من يعصمكم من العذاب ، فتزدون إليه وينالكم منه ما قدر لكم وكتب عليكم .

ثم نبه إلى شدة ضلالتهم وعظيم جهالتهم فقال :

(ومن يضلل الله فما له من هاد) أي ومن يخذله الله ولا يلهمه رشده فما له هاد يهديه إلى طريق النجاة ويوقفه إلى الخلاص .

وفي هذا إيماء إلى أنه ينس من قبولهم نصحه

ثم وبخهم بأنهم ورثوا التكذيب بالرسل من آبائهم الأولين ، وأسلافهم الغابرين فقال :

(ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قائم لن يبعث الله من بعده رسولا) أي ولقد جاء آباءكم يوسف من قبل موسى بالآيات الواضحات ، والمعجزات الباهرات ، فلم يزالوا في ريب من أمره ، وشك من صدقه ، فلم يؤمنوا به ، حتى إذا مات قالوا : لن يبعث الله رسولا من بعده يدعو إليه ويحذر بأسه ، ويخوف من عقابه ؛ فالتكذيب متوارث ، والعناد قديم ، والريب

دَابَّ آبَائِكُمُ الْغَابِرِينَ ، وقد نسب تكذيب الآباء إليهم ، لما تقدم من أن الأمم متكافئة فيما بينها ، فينسب ما حدث من بعضها إلى جميعها ، إذا تواطئوا وانفقوا عليه كما جاء في قصص نمود حين كذب قدار فمقر الناقة فنسب الكذب إلى نمود جميعها كما قال : « كَذَّبَتْ نَمُودُ بَطْعَوَاهَا . إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا . فَكَذَّبُوهُ فَمَقَرُوهَا . فذَمَّمْ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ نَسَوَاهَا . وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا » .

والخلاصة — إنهم كفروا بيوسف في حياته ، وكفروا بمن بعده من الرسل بعد موته ، وظنوا أن ذلك لا يجدد عليهم الحجة .

وقد قالوا هذه المقالة على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان ، ليكون لهم أساس في تكذيب من بعده ، وليس إقراراً منهم برسالته ، بل هو ضم إلى الشك في رسالته التكذيب برسالة من بعده .

ثم بين أنه لا عجب في تكذيبهم فقد طمس الله بصائرهم ، وران على قلوبهم ، حين دسوا أنفسهم بقبيح الخصال وعظيم الآثام .

( كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ) أى مثل هذا الضلال الواضح ، يضل الله ويصد عن سبيل الحق ، وقصد السبيل من هو مسرف في معاصيه مستكثر منها ، شاك في وحدانيته ووعده ووعيده ، لغلبة الوهم عليه ، وانهماكه في التقليد .

ثم بين هؤلاء المسرفين المرتابين فقال :

( الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ) أى إن المسرفين المرتابين هم الذين يخاضعون في حجج الله التي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحجج التي لا مستساغ لها من عقل ولا نقل ، فيتمسكون بتقليد الآباء والأجداد ، ويتمسكون بترهات الأباطيل التي لا يقبلها ذوو الحصافة والرأى .

ثم أكد ما سلف وقرره وتمجبه من حالهم فقال :

(كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) أى كبر ذلك الجدل بغضا لدى الله والمؤمنين ، فمقت الله إياهم يكون بما يستتبعه من سوء العذاب ، ومقت المؤمنين تظهر آثاره فى هجرهم إياهم ، والاحتباس من التعامل معهم ، وعدم الركون إليهم فى الدين والدنيا .

ثم بين أن هذه سنة الله فىهم وفى أمثالهم فقال :

( كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ) أى كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ، يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبارين الذين أبوا أن يوحدوا الله ويصدقوا رسله ، واستعظموا عن اتباع الحق ، فيصدر عنهم أمثال ما ذكر من الإسراف والازتياب والجدل بغير الحق .

ونسب التكبر إلى القلب ، لأنه هو الذى يتكبر وسائر الأعضاء تبع له ، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .  
قال قتادة : آية الجبارة القتل بغير حق .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦)  
أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ، وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ، وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧) .

### شرح المفردات

هامان : وزير فرعون ، الصرح : القصر الشامخ المنيف ، الأسباب : واحدها سبب ، وهو ما يتصل به إلى شىء من جبل وسلم وطريق ، والمراد هنا الأبواب .

قال زهير بن أبي سلمى :  
 ومن هاب أسباب المنايا ينلته ولو رام أسباب السماء بسلم  
 والتباب : الخسران والهلاك ، ومنه قوله تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ »  
 وقوله سبحانه : « وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ » .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر فيما سلف تكبر فرعون وجبروته — أبان هنا أنه بلغ من عتوه  
 وتمرده وافتراءه في تكذيب موسى أن أمر وزيره هامان أن يبنى له قصرًا شاهجًا من  
 الآجر ليصعد به إلى السماء ، ليطلع إلى إله موسى ، ومقصده من ذلك الاستهزاء به  
 ونفي رسالته ، وأكد ذلك بالتصريح بقوله : « وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا » ثم أرشد إلى  
 أن هذا وأمثاله صنيع المكذبين الضالين ، وأن عاقبة تكذيبهم الهلاك والخسران .

### الإيضاح

( وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب . أسباب السموات  
 فأطلع إلى إله موسى ) أى وقال فرعون بعد سماعه عظة المؤمن وتحذيره له من بأس الله  
 إذا كذب بموسى وقتله : يا هامان ابن لى قصرًا منيفا على الذرا رفيع العماد ، عانى  
 أبلغ أبواب السماء وطرقها ، حتى إذا وصلت إليها رأيت إله موسى ، ولا يريد بذلك  
 إلا الاستهزاء والتهمك ، وتكذيب دعوى الرسالة من رب السموات والأرض .  
 والخلاصة — إن هذا نفي لرسالته من عنده .

ثم أكد هذا النفي الضمنى بالتصريح به بقوله :

( وإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ) أى وإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا فيما يقول ويدعى من أن له  
 فى السماء ربًّا أرسله إلينا ، وقد قال هذا تمويهًا وتلبيسًا على قومه ، توصلًا بذلك

إلى بقائهم على الكفر ، وإلا فهو يعلم أن الإله ليس في جهة العلو فحسب ، وكأنه يقول : لو كان إله موسى موجودا لكان له محل ، ومحلها إما الأرض وإما السماء ، ولم تره في الأرض ، فإذا هو في السماء ، والسماء لا يتوصل إليها إلا بسلم ، فيجب أن نبني الصرح لنصل إليه .

ثم بين السبب الذي دعاه إلى ما صنع فقال :

( وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ) أى وهكذا زين الشيطان لفرعون هذا العمل السيئ ، فأنهمك في غيئه ، واستمر في طغيانه ، ولم يرع بحال ، وصد عن سبيل الرشاد بأمثال هذه التموهيات والشبهات ، وما كان ذلك إلا لسوء استعداده وتدسيته نفسه والسير بها قدما في شهواتها دون أن يكون لها وازع يصدها عن غيها ، ويشوب بها إلى رشدها .

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تغطمه ينفطم

ثم ذكر عاقبة مكره وتدليسه وأنه ذاهب سدى وأن الله ناصر أوليائه ، ومهلك أعداءه و« مُتَّبِعٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » وإلى هذا أشار بقوله :

( وما كيد فرعون إلا في تباب ) أى وما احتياله الذى يحتال به ليطلع على إله موسى إلا في خسار وذهاب مال ، لأنها نفقة تذهب باطلا سدى دون أن يصل إلى شيء مما أُراده من القضاء على دعوة موسى ، فالنصر في العاقبة له « وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » .

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨)  
يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩)  
مَنْ عَمِلْ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ، وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى  
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)

وَيَا قَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي  
لَا كُفْرًا بِاللَّهِ وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ  
الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّ مَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي  
الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)  
فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ  
(٤٤) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ  
(٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ  
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) .

### شرح المفردات

الرشاد : ضد الغي والضللال ، متاع : أى يستمتع به أياماً قليلة ثم ينقطع ويذول ،  
دار القرار : أى دار البقاء والدوام ، إلى النجاة : أى إلى الإيمان بالله الذى ثمرته  
وعاقبته النجاة ، إلى النار : أى إلى اتخاذ الأنداد والأوثان الذى عاقبته النار ، ما ليس  
لى به علم : أى ما لا وجود له ولم يقم عليه دليل ولا برهان ، لا جرم : أى حقاً ،  
دعوة : أى استجابة دعوة لمن يدعو إليه ، مردنا : أى مرجعنا ، وأن المسرفين : أى  
الذين يغلب شرهم على خيرهم ، فستذكرون : أى فسيذكر بعضكم بعضاً حين معاينة  
العذاب ، وقاه : حفظه ، يُعرضون عليها : أى تعرض أرواحهم عليها .

### المعنى الجملى

اعلم أن هذا المؤمن لما رأى تهادى قومه فى تمردهم وطنغيانهم أعاد عليهم النصيح  
مرة أخرى ، فدعاهم أولاً إلى قبول هذا الدين الذى هو سبيل الخير والرشاد ، ثم بين

لهم حقارة الدنيا وعظم شأن الآخرة ، وأنها هي الدار التي لا زوال لها ، ثم ذكر أنه يدعوهم إلى الإيمان بالله الذي يوجب النجاة والدخول في الجنات ، وهم يدعوونه إلى الكفر الذي يوجب الدخول في النار ؛ ثم أردف هذا ببيان أن الأصنام لا تستجاب لها دعوة ، فلا فائدة في عبادتها ، ومرّد الناس جميعا إلى الله العليم بكل الأشياء ، وهو الذي يجازى كل نفس بما كسبت ، وأن المشرّفين في المعاصي هم أصحاب النار ؛ ثم ختم نصحه بتحذيرهم من بأس الله وتقويض أمره إلى الله الذي يدفع عنه كل سوء يراد به ؛ ثم أخبر سبحانه بأنه استجاب دعائه فوَقاه سوء الذي دبروه له وحفظه مما أرادوه من اغتياله ، وأحاط بأل فرعون سوء العذاب ففرقوا في البحر ، ويوم القيامة يكون لهم أشد العذاب في النار .

## الإيضاح

( وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدمكم سبيل الرشاد ) أى يا قوم إن اتبعتموني فقبلتم مني ما أقول لكم سلكتم الطريق الذي به ترشدون باتباعكم دين الله الذي ابتعث به موسى ثم زهدم في الدنيا التي قد آثروها على الآخرة ، فصدوا عن التصديق برسول الله فقال :

( يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ) أى يا قوم ما هذا النعيم الذي يُحْمَلُ لكم في هذه الحياة الدنيا إلا قليل المدى تستمتعون به إلى أجل أنتم بالغوه ثم تموتون ، وإن الآخرة هي دار الاستقرار التي لا زوال لها ، ولا انتقال منها ، ولا ظعن عنها إلى غيرها ، وفيها إما نعيم مقيم ، وإما عذاب أليم .  
ثم بين كيف تحصل المجازاة في الآخرة وأشار إلى أن جانب الرحمة فيها غالب على جانب العقاب فقال :

( من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ) أى من عمل في دار الدنيا معصية

من المعاصي كائنه ما كانت ، فلا يعذب إلا بقدرها من غير مضاعفة للعقاب ، ومن عمل بطاعة الله وأتمر بأمره ، وانتهى عما نهى عنه ، ذكرًا كان أو أنثى وهو مؤمن بربه مصدق بأنبيائه ورسوله ، فأولئك يدخلون الجنة ويمتعون بنعيمها بلا تقدير ولا موازنة للعمل بل يجازون أضعافا مضاعفة بلا انقضاء ولا نفاذ .

ثم كرر ذلك المؤمن دعاءهم إلى الله وصرح بإيمانه ولم يسلك المسالك المتقدمة من إيهامه لهم أنه منهم وأنه إنما تصدى لتذكيرهم كراهة أن يصيبهم بعض ما توعدهم به موسى كما يقول الرجل المحب لقومه تحذيرا لهم من الوقوع فيما يخاف عليهم من مواضع المهلكة فقال :

(ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار؟) أى أخبروني كيف أتم وما حالكم ، أدعوكم إلى النجاة من عذاب الله بإيمانكم بالله وإجابة رسوله وتصديق ما جاء به من عنده ربه ، وتدعونني إلى عمل أهل النار بما تريدون منى من الشرك؟ ثم فسر الدعوتين بقوله :

( تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم ، وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ) أى تدعونني إلى الكفر بالله والإشراك به فى عبادته ما لم يتم دليل على أهنيته ، وأنا أدعوكم إلى من استجمع صفات الألوهية من كمال القدرة والغلبة والعلم والإرادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران . ثم أكد ما سلف بقوله :

( لاجرم أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ) أى حقا أن ما تدعونني إليه من الأصنام لا يوجب دعوة من يدعو ، فهو لا ينفع ولا يضر فى الدنيا ولا فى الآخرة .

ونحو الآية : « إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْ كِكُمْ » وقوله : « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ

اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ .

(وأن مردنا إلى الله) أى وأن منقلبنا بعد الموت والبعث إلى الله ، وحينئذ يجازى كل نفس بما كسبت من خير أو شر .

(وأن المشرفين هم أصحاب النار) أى وأن المشركين بالله المتعدّين حدوده هم أهل الجحيم خالدون فيها أبداً قاله قتادة وابن سيرين ، وقال ابن مسعود ومجاهد والشعبي : هم السيفياء السفاكون للدماء بغير حقها الذين ركبوا أهواءهم ودسّوا أنفسهم بصنوف المعاصي .

ثم ختم نصحه بكلمة فيها تحذير ووعد لهم ، ليتفكروا في عاقبة أمرهم لعلمهم برعون عن غيهم فقال :

(فستذكرون ما أقول لكم) أى فستعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه وتندكرونه فتندمون حيث لا ينفع الندم ، وإني قد بانغت في نصحتكم وتذكركم بما لم يبق بعده مستزاد لمستزيد .

ثم ابتداءً كلاماً آخر يبين به اطمئنانه إلى ما يجري به القدر ويخبئه له الغيب كما هو دأب المؤمنين الصادقين فقال :

(وأفوض أمري إلى الله) أى وأتوكل على ربي وأفوض إليه أمري وأستمع به لبعض من كل سوء . قيل إنه قال ذلك لما أرادوا قتله والإيقاع به . وقال مقاتل : هرب هذا المؤمن إلى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه .

ثم ذكر ما هو كالعلة لذلك فقال :

(إن الله بصير بالعباد) أى إنه خير بهم فيهدى من يستحق الهداية ، ويضل من يستحق الإضلال لسوء استعداده وتدسسته نفسه ، وله الحجة الدائمة ، والحكمة البالغة ، والقدرة النافذة .

ثم أخبر سبحانه أنه قد كانت النصر له والهلاك لعدوه فقال :

(فوقاه الله سيئات ما مكروا ، وحاق بآل فرعون سوء العذاب) أى فحفظه الله

مما أرادوا به من المكر السيء في الدنيا ، إذ نجاه مع موسى عليه السلام ، وفي الآخرة بأدخاله دار النعيم ، وأحاط بفرعون وقومه سوء العذاب في الدنيا بالغرق في اليم ، وفي الآخرة بدخول جهنم وبئس القرار .

وفي هذا إيماء إلى أنهم قصدوه بالسوء ، وقد روى عن ابن عباس أنه لما ظهر إيمانه قصد فرعون قتله فهرب ونجا .

ثم فصل ما أجمله من سوء العذاب بقوله :

( النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ) أى تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار بالغداة والعشى وينفّس عنهم فيما بين ذلك ، ويدوم هذا إلى يوم القيامة ، وحينئذ يقال لخزنة جهنم : أدخلوا آل فرعون النار .

قال بعض العلماء وهذه الآية دليل على عذاب القبر ، ويؤيده ما روى البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فن أهل النار ، ويقال هذا مقعدك حين يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة ، ثم قرأ : « النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا » .

وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أحسن محسن مسلم أو كافر إلا أتاه الله ، قلنا يا رسول الله ما إثابة الكافر ؟ قال : المال والولد والصحة وأشباه ذلك ، قلنا وما إثابته في الآخرة ، قال : عذابا دون العذاب وقرأ : « أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ » .

وقد أثبت علماء الأرواح حديثا ، نعيم الروح وعذابها ، وشبهوا ذلك بما يراه النائم حين نومه ، فقد نرى نائمين في سرير واحد يقوم أحدهما مذعورا كئيبا وجلا مما شاهد في نومه ، بينما نرى الثاني مستبشرا فرحا بما لاقى من المسرة والنعيم ،

فيروى أنه كان في حديقة غناء وشاهد كذا وكذا مما فيها من بهجة وبهاء ،  
وجمال ورؤاء .

وَإِذِ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا  
لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ  
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ  
فِي النَّارِ لَنْ نَخْرَجَ مِنْ جَهَنَّمَ اذْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩)  
قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قَالُوا نَلَى ، قَالُوا فَاذْعُوا  
وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) .

### شرح المفردات

الحاجة : المجادلة والخصام بين اثنين فأكثر ، الضعفاء . الأتباع والمرءوسون ،  
والمستكبرون : السادة أولو الرأي فيهم ، والتبع : واحد من تابع كخدم وخدام ، مغنون :  
أى دافعون ، نصيبا : أى قسطا وجزءا ، حكم : قضى ، الخزنة : واحد من خازن  
وهم القوام بتعذيب أهل النار ، ضلال : أى فى ضياع وخسار .

### الإيضاح

( وإذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً )  
أى واذكر أيها الرسول قومك وقت حجاج أهل النار وتخاصمهم وهم فى النار ،  
فيقول الأتباع للقادة السادة : إنا أطمناكم فيما دعوتونا إليه فى الدنيا من الكفر  
والمضلال ، فتكبرتم على الناس بنا .

( فهل أتم مغنون عنا نصيبا من النار؟ ) أى فهل تقدر أن تحملوا عنا قسما من العذاب فتخففوه عنا ، فقد كنا نسارع إلى محبتكم فى الدنيا ، ومن قبلكم جاءنا العذاب ، ولولا أتم لكنا مؤمنين .

ومقصدهم من هذا القائل تحجيلهم وإيلام قلوبهم ، وإلا فهم يعلمون أنهم لا قدرة لهم على ذلك التخفيف .

فرد عليهم أولئك الرؤساء بما حكاه الله عنهم بقوله :

( قال الذين استكبروا إنا كل فينا ) أى وقال رؤسائهم الذين أبوا الانقياد للأنبياء : إنا جميعا واقعون فى العذاب ، فلو قدرنا على إزالته عن أنفسنا لدفعناه عنكم .  
وخلاصة مقالهم : إنا وأتم فى العذاب سواء .

( إن الله قد حكم بين العباد ) بفصل قضائه ، فلا يؤخذ أحدا بذنوب غيره ، وكل منا كافر ، وكل منا يستحق العقاب ولا يغنى أحد عن أحد شيئا .

ولما يتيسر الأتباع من المتبوعين رجعوا إلى خزنة جهنم يطلبون منهم الدعاء كما حكى الله عنهم بقوله :

( وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ) أى وقال أهل جهنم لخدمها وقوامها مستغيثين بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء رجاء أن يجدوا لديهم فرجا من ذلك الكرب الذى هم فيه : ادعوا ربكم أن يخفف عنا مقدار يوم من العذاب .

فرد عليهم الخزنة موبخين لهم على سوء ما كانوا يصنعون مما استحقوا عليه شديد العذاب .

( قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟ ) أى أو ما جاءكم الرسل بالحجج على توحيد الله لتؤمنوا به وتبرءوا مما دونه من الآلهة ؟

فأجابوهم :

(قالوا بلى) أى قالوا أتونا فكذبناهم ولم تؤمن بهم ولا بما جاءوا به من البينات الواضحة والبراهين الساطعة ، حينئذ قال لهم خزنة جهنم تهكما بهم :

(قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) أى قالوا لهم : إذا كان الأمر كما ذكرتم فادعوا أتم وحدكم ، فإننا لا ندعو ان كفر بالله وكذب رسوله ، وإن دعاءكم لا يفيدكم شيئاً فما هو إلا فى خسران وتبار ، وسواء دعوتهم أو لم تدعوا فإنه لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم .

روى الترمذى وغيره عن أبى الدرداء قال : « يُلقى على أهل النار الجوع حتى يعطل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون منه فيعانون بالضرب لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فياً كلون لا يغنى عنهم شيئاً ، فيستغيثون فيعانون بطعام ذى عَصَّة فيعضون به فيذكرون أنهم كانوا فى الدنيا يحيزون الغصص بالماء ، فيستغيثون بالشراب فيرفع لهم الجيم بالكلايب ، فإذا دنا من وجوههم شواها ، فإذا وقع فى بطونهم قطع أمعاءهم وما فى بطونهم ، فيستغيثون بالملائكة يقولون : « ادْعُوا رَبَّكُمْ يَخْفَفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ » فيجيبونهم : « أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ »

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ

اللَّهُ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنَا هُمْ، إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَأْمُومًا بِبِأَنفِيهِ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦).

## شرح المفردات

يوم يقوم الأَشهاد : هو يوم القيامة ، والأَشهاد : واحد هم شهيد بمعنى شاهد ، والهدى : ما يَهْتَدَى به من المعجزات والصحف والشرائع ، والإيثار : أول النهار إلى نصفه ، والعشي : من النصف إلى آخر النهار ، والسلطان : الحجة .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه في أول السورة أنه لا يجادل في آيات الله إلا القوم الكافرون ، ثم رد على أولئك المبطلين المجادلين تسلياً لرسوله وتصبيراً له على تحمل أذى قومه — أورد ذلك بوعده له بالنصرة على أعدائه في الدنيا والآخرة ، وتلك سنة الله ، فهو ينصر الأنبياء والرسل و يقبض لهم من ينصرهم على أعدائهم ؛ ويتلأ قلوبهم بنور الميقين ، ويلههم أن النصر لهم آخرهما تقابل بهم الأمور .

## الإيضاح

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأَشهاد ) أى إنا لنجعل رسلنا هم الغالبين لأعدائهم القاهرين لهم ، و نتصر معهم من آمن بهم في الحياة الدنيا إما بإعلانهم على من كذبهم كما فعلنا بداد وسليمان ، فأعطيناهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر ، وكما فعلنا بمحمد صلى الله عليه وسلم بإظهاره على من كذبه من قومه — وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاتتهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل كما فعلنا بنوح وقومه من إغراقهم وإنجائهم ، وكما فعلنا بموسى وفرعون وقومه ، إذ أهلكناهم غرقاً ونجينا موسى ومن آمن معه من بنى إسرائيل — وإما بانتقامنا

منهم بعد وفاة ربنا كما نصرنا شعبيا بعد مهلكه بتسليطنا على من قتله من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتله .

وكذلك نصرهم عليهم يوم القيامة يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة لرسالها - بالشهادة بأن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم وأن الأمم قد كذبتهم .

(يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) أى يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم ، لأنهم لا يعتذرون إلا بباطل كما حكى سبحانه عنهم من قولهم : « وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ » .

(ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) أى ولهم فى هذا اليوم الطرد من رحمة الله ، ولهم شر ما فى الآخرة من العذاب الأليم والقرار فى سواء الجحيم .  
ولما بين أنه ينصر الأنبياء والمرسلين فى الدنيا والآخرة ذكر نوعا من تلك النصرة فى الدنيا بقول :

(واقدم آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب . هدى وذكروا لأولى الألباب) أى واقدم أعطينا موسى من المعجزات والشرائع ما يهتدى به الناس فى الدنيا والآخرة ، وأرثنا عليه التوراة هدى لقومه فتوارثوها خلنا عن سلف وصارت هداية لهم وتذكرة لأولى العقول السليمة التى بعدت من شوائب التقليد والوهم .

وبعد أن بين سبحانه أنه ينصر رسله والمؤمنين وضرب لذلك مثلا بحال موسى خاطب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله :

(فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار) أى فاصبر أيها الرسول لأمر ربك ، وبلغ قومك ومن أمرت بإبلاغه ما أنزل إليك وأيقن بأن الله منجز وعده وناصر لك وناصر من صدقتك ، وآمن بك على من كذبك

وَأَنْتُمْ مَا جِئْتُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ ، وَسَلِّ رَبُّكَ غَفْرَانَ ذُنُوبِكَ وَعَفْوَهُ عَنْهُ ، وَصَلِّ شُكْرًا لَهُ طَرَفِي النَّهَارِ كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ الْآخِرَى : « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَى مِنَ اللَّيْلِ » .

وقد يكون المراد من ذلك المواظبة على ذكر الله وألا يفتر اللسان عنه ، ولا يغفل القلب حتى يدخل في زمرة الملائكة الذين قال سبحانه في وصفهم : « يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ » .

ولما ابتداء عز اسمه بارداً على الذين يجادلون في آيات الله واتصل الكلام بعضه ببعض على النسق المتقدم ، نبه هنا إلى السبب الذي يحملهم على تلك المجادلة فقال : (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) أي إن الذين يخاصمونك أيها الرسول فيما أتيتهم به من عند ربك من آيات بغير حجة — ما يحملهم على هذا الجدل إلا كبر في صدورهم يمنعهم عن اتباعك وقبول الحق الذي جئتهم به ، إذ لو سلموا بنبوتك لزمهم أن يكونوا تحت لوائك وطوع أمرك ونهيك ، لأن النبوة ملك ورياسة ، وهم في صدورهم كبر لا يرضون معه أن يكونوا في خدمتك ، وما هم ببالغي موجب الكبر وهو دفع الرياسة والنبوة عنك ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وليس ذلك بالذي يدرك بالأمانى .

والخلاصة — إنه ما يحملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والحسد لك ، وما هم ببالغي إرادتهم فيه ، فإن الله قد أذلهم . ثم أمر رسوله أن يستعيز من هؤلاء الجادلين المستكبرين ، فيقيه من أذاهم وشرم ويكلؤه ويحفظه منهم فقال :

( فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير ) أي فالتجئ إلى الله تعالى في دفع كيد من يشنؤك ويبغى عليك ، فهو السميع لأقوالهم ، البصير بأفعالهم ، لا يخفى عليه شيء منها .

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ  
فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩)

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه فيما سلف أنهم يجادلون فى آيات الله بغير سلطان ، وكان  
من جدلهم أنهم ينكرون البعث ، ويعتقدون استحالة ويعلمون أئيسة وهمية ، وقضايا  
جدلية كقولهم : « مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟ » وقولهم : « أَئِنَّا مِثْنَا وَكُنَّا  
تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ آبَارُنَا الْأُولُونَ » ذكر هنا برهانا يؤيد إسكان  
حدوثه ويبعد عن أذهانهم استحالة وهو خلقه للسموات والأرض ابتداء على عظم  
أجرامها ، ومن قدر على ذلك فهو قادر على إعادتهم كما جاء فى الآية الأخرى  
« أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ » .

### الإيضاح

(خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) أى خلق السموات  
والأرض ابتداء من غير سبق مادة أعظم فى النفوس وأجلّ فى الصدور ، أكبر من  
خلق الناس لعظم أجرامها ، واستمرارها من غير عمد ، وجريان الأفلاك بالكواكب  
بلا سبب ، وقد جرت المادة فى مزاولة الأفعال أن علاج الشيء الكبير أشق من  
علاج الشيء الصغير ، فمن قدر على ذلك قدر على ما دونه كما قال : « أَوْ لَمْ يَرَوْا  
أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْصِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ  
الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

(واكن أ كثر الناس لا يعلمون) أى وكن هؤلاء المشركين لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها ولا يعلمون أن الله لا يعجزه شيء .  
وبعد أن ذكر سبحانه الجدل بالباطل ذكر مثالا للباطل والحق وأنها لا يستويان فقل :

(وما يستوى الأعمى والبصير) أى وما يستوى الكافر الذى لا يتأمل حجج الله بعينيه فيتدبرها ويعتبرها ، فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما يشاء ويؤمن بذلك ويصدق به — والمؤمن الذى يرى بعينه تلك الحجج فيتفكر فيها ويتعظ بها ويعلم ما تدل عليه من توحيده وعظيم سلطانه وقدرته على خلق الأشياء جميعها صغيرها وكبيرها ، وقد ضرب لهما مثل الأعمى والبصير ، ليعتقن ذلك الفارق على أتم وجه وأعظم تفصيل ، فما الأشكال إلا وسائل للإيضاح تبين للناس المقولات وهى لآبسة ثوب الحسوسات ، فيتضح ما انهم منها وخفى من أمرها كما قال : « وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » .

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) أى وكذلك لا يستوى المؤمنون المطيعون لربهم والباصون المخالفون لأمره ، ونحو الآية قوله : « وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ » .

(قليلًا ما تتذكرون) أى ما أقل ما تتذكرون حجج الله فتعتبرون بها وتمتعون بها ، ولو تذكروا واعتبرتم لعرفتم خطأ ما أنتم عليه متميمون من إنكاركم قدرة الله على إحياء من فنى من خلقه وإعادة حياة أخرى هذه الحياة .

ولما قرر الدليل على إسكان وجود يوم القيامة والبعث والنشر — أردفه بالإخبار بأنه واقع لا محالة فقال :

(إن الساعة آتية لا ريب فيها) أى إن يوم القيامة الذى يحى فيه الله الموتى للشواب والعقاب لآت لا شك فيه ، فأيقنوا بمجيئه ، وأنكم مبعوثون من بعد مماتكم ،

ومجازون بأعمالكم ، فتوبوا إلى ربكم واشكروا له جزيل إنعامه عليكم ، ليدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، وفيها ترون مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

(ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أي ولكن أكثر الناس لا يصدقون بمجيئه ، ومن ثم ركبوا ربوسهم وعافوا في الأرض فساداً ، واجتروا البيئات دون خوف الرقيب المسيب .

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُوٌّ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَاكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْتَدُونَ (٦٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، ذَاكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥) .

### شرح المفردات

ادعوني : أي اعبدوني ، أستجب لكم : أي أُنِيبكم على عبادتكم إياي ، داخرين : أي صاغرين أذلاء ، لتسكنوا فيه : أي لتستريحوا فيه ، مبصراً : أي يبصر فيه ،

تؤفكون : أى تصرفون ، قراراً : أى مستقراً ، بناء : أى قبة ومنه أبنية العرب لقبابهم التى تضرب للسكنى فيها ، فتبارك : أى تقدس وتنزه ، الدين : الطاعة .

### المعنى الجملى

بعد أن أثبت أن يوم القيامة حق ، وكان المرء لا ينتفع فيه إلا بطاعة الله والنضج له ، وأشرف أنواع الطاعات الدعاء أى العبادة ، لاجرم أمر الله تعالى بها فى هذه الآية .

ولما كانت العبادة لا تنفع إلا إذا أقيمت الأدلة على وجود المعبود ، ذكر من ذلك تعاقب الليل والنهار وخلق السموات والأرض وخلق الإنسان فى أحسن صورة وورقة من الطيبات .

### الإيضاح

( وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ) أى اعبدونى أثبكم ، هكذا روى عن ابن عباس والضحاك ومجاهد فى جماعة آخرين ، ويؤيده أن القرآن كثيراً ما استعمل الدعاء بمعنى العبادة كقوله : « **إِنْ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا** » .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **الدعاء الاستغفار** » وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **من لم يدع الله يغضب عليه** » . أخرجه أحمد والحاكم . وعن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « **لا ينفع خذ من قدر ، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم بالدعاء** » أخرجه أحمد وأبو يلى والطبرانى ، وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **الدعاء منخ العبادة** » أخرجه الترمذى ، وعن ابن عباس قال : « **أفضل العبادة الدعاء** » وقرأ هذه الآية ، وأخرج البخارى فى الأدب عن عائشة قالت « **سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى العبادة أفضل ؟ فقال : دعاء المرء لنفسه** » .

ثم صرح سبحانه بأن المراد من الدعاء العبادة فقال :

(إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أى إن الذين

يتعظمون عن إفرادى بالعبادة وإفرادى بالألوهة سيدخلون جهنم صاغرين أذلاء .

وفى هذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله ، وفيه لطف بعباده عظيم ، وإحسان إليهم كبير ، من حيث توعد من ترك طلب الخير منه ، واستدفاع الشر به ، بهذا الوعيد البالغ ، وعاقبه بهذه العقوبة الشديدة ، فيا عباد الله وجهوا رغباتكم إليه ، وعودوا فى كل مطالبكم على من أمركم بتوجيهها إليه ، وأرشدكم إلى التوكل عليه ، وكفل لكم الإجابة بإعطاء مطالبكم ، وحصول رغباتكم ، فهو الكريم الجواد الذى يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ، ويفض على من لم يطلب من فضله العظيم ، وملسه الواسع ما يحتاج إليه من أمور الدين والدنيا .

وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الدعاء هو العبادة»

ثم قرأ : « وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي إِلَى قَوْلِهِ : دَاخِرِينَ » أخرجه الترمذى والبخارى فى الأدب والحاكم وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية .

ولما أمر بالدعاء ، والاشتغال به لا بد أن يسبق بمعرفة المدعو — ذكر الدليل عليه

بذكر بعض نعمه فقال :

(١) (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى إن الله الذى لاتصلح

الألوهة إلا له ، ولا تنبغى العبادة لغيره - هو الذى جعل الليل للسكون والاستراحة من الحركة والتردد فى طلب المعاش والحصول على ما بقى بمحاجات الحياة .

(٢) (والنهار مبصرا) أى وجعل النهار مضيئا بشمسه ذات البهجة والرواء ،

لتصرفوا فيه بالأسفار ، وجوب الأقطار ، والنسكن من مزاوله الصناعات ، ومختلف التجارات .

ثم ذكر نتيجة لما تقدم فقال :

( إن الله لذو فضل على الناس ) أى فهو المتفضل عليهم بالنعم التى لا تحصى ،

ولا يمكن أن تستقصى .

ثم بين أن كثيرا من عباده جحدوا هذه النعم ، واستكبروا عبادة النعم فقال :

( ولكن أكثر الناس لا يشكرون ) هذه النعم ولا يعترفون بها ، إما لجهودهم

لغفلتهم وكفرهم بها كما هو شأن الكفار ، وإما عن النظر ، وإهمالهم لما يجب من

شكر النعم كما هو حال الجامعين .

ونحو الآية قوله : « إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ » وقوله : « إِنَّ الْإِنْسَانَ

لَطَلُومٌ كَفَّارٌ » .

ثم بين كمال قدرته المقتضية لوجوب توحيده فقال :

( ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ؟ ) أى ذلكم

الذى فعل كل هذا ، وأنعم عليكم بهذه النعم هو الله الواحد الأحد خالق جميع

الأشياء ، لا إله غيره ولا رب سواه ، فكيف تنقلبون عن عبادته ، وتتصرفون عن

توحيده ، وتصرفون عن الإيمان ، مع قيام البرهان ، وتعبدون غيره من الأصنام

التي لا تخلق شيئا وهى مخلوقة منحوتة .

ثم ذكر أن هؤلاء ليسوا ببدع فى الأمم قبائهم ، بل قد سبقهم فى هذا خلق

كثير فقال :

( كذلك يؤنك الذين كانوا بآيات الله يمجدون ) أى كما ضل هؤلاء بعبادة

غير الله — ضل وأفك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دلائل ولا برهان ،

بل للجهل والهوى .

وبعد أن ذكر من الدلائل تعاقب الليل والنهار ذكر هنا الأرض والسماء فقال :

( الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء ) أى الله الذى جعل لكم

الأرض مستقرا تمشون عليها ، وتتصرفون فيها ، وتمشون في مناكبها ، وجعل لكم السماء سقفا محفوظا مزينا بنجوم ينشأ عنها الليل والنهار والظلام والضياء .

وبعد أن ذكر دلائل الآفاق والأكوان — ذكر دلائل الأنفس فقال :

( وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ) أى وخلقكم فأحسن خلقكم ، إذ خلق كلا منكم منتصب القامة ، بآدى البشرة ، متناسب الأعضاء ، مهيا لمراولة الصناعات ، واكتساب الكسالات ، ورزقكم من طيبات الطعام والمشرب .

( ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ) أى ذلكم الذى أنعم عليكم بهذه النعم ، هو الذى لا تدعى الألوهة إلا له ، ولا تصلح الربوبية لغيره ، لا من لا ينفع ولا يضر ، فتقدس الله سبحانه وتزه وهو رب العالمين .

ثم نبه إلى وحدانيته وأمر بإخلاص العبادة فقال :

( هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ) أى هو الحى الذى لا يموت ، وما سواه فمتقطع الحياة غير دائمها ، لا معبود بحق غيره تجوز عبادته وتصلح الألوهة له ، فادعوه مخلصين له الطاعة ، مفردين له الألوهة ، ولا تشركوا فى عبادته شيئا سواه من وثن أو صنم ، ولا تجعلوا له ندا ولا عدلا .

ثم أمر بعباده أن يحمده على جزيل نعمه وجيل عظمته فقال :

( الحمد لله رب العالمين ) أى احمدوه سبحانه فهو مالك جميع أصناف الخلق من ملك وإانس وجن ، لا الألهة التى تعبدونها ، ولا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا فضلا عن تقع غيرها وضره ، وعن ابن عباس أنه قال : « من قال لا إله إلا الله فليقل إثرها : الحمد لله رب العالمين » وذلك قوله : « فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

قُلْ إِنِّي بُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي  
الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ

مِنْ تَرَابٍ مِّمَّ مِنْ نُطْفَةٍ مِّمَّ مِنْ عَاقَةِ مِّمَّ يَخْرُجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا  
أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا  
أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَمَّا كُمُتُمْ تَدْعُلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى  
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٨) .

### المعنى الجملى

بعد أن أثبت سبحانه لنفسه صفات الجلال والكمال — أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم بأنه نهى عن عبادة غيره ، وأورد ذلك بألین قول وأطفه ، ليصرفهم عن عبادة الأوثان ، ثم بين أن سبب النهى هو البيئات التى جاءتة ، إذ قد ثبت بصريح العقل أن إله العالم الذى تجب عبادته هو الموصوف بصفات العظمة ، لا الأحجار المنصوبة ، والأخشب المصورة ، وبعد أن نهى عن عبادة غيره أمر بعبادته تعالى ، وقد ذكر من الأدلة على وجوده خلق الأنفس على أحسن الصور ورزقها من الطيبات ، ثم تكوين الجسم من ابتداء كونه نطفة وجنيناً إلى الشيخوخة ثم الموت .

### الإيضاح

(قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البيئات من ربى) أى قل أيها الرسول لمشركى قومك من قريش وغيرهم: إني نهيت أن أعبد ما تدعون من دون الله من وثن أو صنم ، حين جاءتنى الأدلة من عند ربى وهى آيات الكتاب الذى أنزله علىّ وهى مؤيدة لأدلة العقل ومنبهة لها .

وجملة ذلك — إن الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التى فى الأكوام والأنفس .

ولما بين أنه نُهي عن عبادة غير الله - أردف ذلك بذكر أنه أمر بعبادته تعالى فقال :  
 ( وأمرت أن أسلم لرب العالمين ) أى وأمرت أن أقتاد له تعالى وأخلص له ديني .  
 ثم ذكر من الدلائل على وجوده تعالى تكوين الإنسان من ابتداء النطفة إلى  
 وقت الشيخوخة فقال :

( هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا  
 أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ، ومنكم من يتوفى من قبل وتبلغوا أجلاً مسمى وعلسكم  
 تعقلون ) أى هو الذى خلقكم من التراب ، إذ كل إنسان مخلوق من المني ، والمني  
 مخلوق من الدم ، والدم يتولد من الأغذية ، والأغذية تنتهى إلى النبات ، والنبات  
 يتكون من التراب والماء - ثم ذلك التراب يصير نطفة ثم علقة إلى مراتب كثيرة  
 حتى ينفصل الجبين من بطن الأم .

وقد رتب سبحانه عمر الإنسان ثلاث مراتب .

(١) الطفولة . (٢) بلوغ الأشد . (٣) الشيخوخة ، ومن الناس من يتوفى  
 قبل المرتبة الأخيرة . وهو يفعل ذلك لتبلغوا الأجل المسمى وهو يوم القيامة ، ولتعقلوا  
 ما فى التنقل فى هذه الأطوار المختلفة من فنون العبر والحكم . وكما استدل بهذه  
 التغيرات على وجود الإله القادر - استدل على ذلك بانتقال الإنسان من الحياة إلى  
 الموت ومن الموت إلى الحياة فقال :

( هو الذى يحيى ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ) أى قل لهم  
 أيها الرسول : هو الذى يحيى من يشاء بدمعته ، ويميت من يشاء من الأحياء وإذا  
 أراد كون أمر من الأمور التى يريد تكوينها ، فإنما يقول له كن فيكون بلا معاناة  
 ولا كُفَّة .

وهذا تمثيل لتأثير قدرته فى المقدرات حين تعلق إرادته بوجودها ، وتصوير  
 لسرعة ترتيب المسكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر ومأمور .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ؟ (٦٩) الَّذِينَ  
كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠)  
إِذَا الْأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ  
يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ  
تَأْكُلُوا ضَلُوعًا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ، كَذَلِكَ يُضِلُّ  
اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكَ كُنتُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ  
الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا  
فَبئسَ مثوى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) .

### شرح المفردات

الكتاب : القرآن ، يسحبون : أى يجرون ، الحميم : الماء الحار ، يسجون :  
أى يحرقون ، يقال سجر التنور إذا ملاه بالوقود ، ومنه : «وَالْبَحْرِ الْمَسْجُور» أى :  
المملوء ، ضلوا عنا : أى غابوا ، تفرحون : أى تبطرون ، تخرحون : تتخالون  
أشراً وبطراً .

### المعنى الجملى

عود على بدء بالتعجب من أحوال المجادلين الشنيعة وآرائهم الفاسدة ، والتمهيد  
لما يعقبه من بيان تكذيبهم بالقرآن وسائر الكتب والشرائع ، وترتيب الوعيد  
على ذلك .

### الإيضاح

(ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون؟) أى انظر واعجب من  
هؤلاء المكابرين في آياتنا الواضحة الموجبة للإيمان بها الزاجرة عن الجدل فيها ،

كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي على الإقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها  
وقيام الأدلة على صحتها وأنها في نفسها موجبة للتوحيد .

ثم بين صفات هؤلاء المبطلين بقوله :

(الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا) أى هم الذين كذبوا بالقرآن  
وبجميع ما أرسلنا به رسلنا من إحصاء العباد له سبحانه والبراءة مما يعبد من دونه  
من الآلهة ولأنداد والاعتراف بالبعث بعد المات .

ثم هددهم وأوعدهم على ما يفعلون فقال :

(فسوف يعلمون . إذ الأعلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون . في الحميم ثم في النار  
يسحبون) أى فسوف يعلم هؤلاء المكذبون حقيقة ما تنجزهم به وصدق ما هم به  
اليوم مكذبون من هذا الكتاب حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم ،  
يسحبون بها في الحميم فيسأخ كل شيء عليهم من جلد ولحم وعروق ، ثم تملأ بهم النار .  
ونحو الآية قوله : « ثُمَّ إِنَّ مَرَجِحَهِمْ لِأَلَى الْجَحِيمِ » وقوله : « خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ  
إِلَى سِوَاهِ الْجَحِيمِ . ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ . ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
الكَرِيمُ . إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ »

ثم ذكر أنهم يسألون - سؤال تبكيت وتوبيخ عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها فقال :

(ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله ؟ قالوا ضلوا عنا بل لم نكن  
ندعو من قبل شيئا) أى ثم يسألون ويقال لهم : أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من  
دون الله ليغيثوكم وينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب ؟ فيجيبون ويقولون غابوا  
عنا وأخذوا طريقا غير طريقنا وتركونا في البلاء - لا ، بل الحق أننا ما كنا ندعو  
في الدنيا شيئا يعتد به ، وهذا كما تقول حسبت أن فلانا شيء فإذا هو ليس بشيء ،  
إذا خبرته فلم تر عنده خيرا .

والخلاصة - إنهم اعترفوا بأن عبادتهم إياها كانت عبادة باطلة .

( كذلك يضل الله الكافرين ) أى كما أضل الله تعالى هؤلاء وأبطل أعمالهم ،  
 كذلك يفعل بأعمال جميع من يدين بالكفر فلا ينتفعون بشيء منها .  
 ثم بين السبب فيما يأتيهم من هذا العذاب فقال :  
 ( ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ) أى هذا  
 الذى فعلنا بكم اليوم من شديد العذاب بسبب فرحكم الذى كنتم تفرحونه فى الدنيا  
 بارتكاب الشرك والمعاصى ، ومرحكم وبطركم فيها بتمتعكم بالذات .  
 ( ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فىئس مشوى المتكبرين ) أى ادخلوا أبواب  
 جهنم السبعة المقسومة لكم كما قال تعالى : « لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ  
 جُزْءٌ مَّقْسُومٌ » خالدين فيها أبداً ، فىئس منزل المتكبرين على الله فى الدنيا أن  
 توحدوه ويؤمنوا برسله - جهنم .

فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ  
 أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّا يُرْجِمُونَ (٧٧) وَتَقَدَّرَ أَرْسَلْنَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ  
 مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ  
 يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ  
 الْمُبْطِلُونَ (٧٨) .

### المعنى الجملى

كان الكلام من أول السورة إلى هنا فى تزييف طرق المجادلين فى آيات الله ،  
 وهنا أمر رسوله بالصبر على أذام وتكذيبهم ، فإن الله سينجز له ما وعده من النصر  
 والظفر على قومه ، ويجعل العاقبة له ولن اتبعه من المؤمنين فى الدنيا والآخرة .

## الإيضاح

(فاصبر إن وعد الله حق) أى فاصبر أيها الرسول على ما يجادلك به هؤلاء المشركون فى آيات الله التى أنزلها عليك وعلى تكذيبهم إياك ، فإن الله منجز لك فيهم ما وعدك من العقربهم والعلو عليهم وإحلال العقاب بهم ، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة كما قال :

(فإما ترينك بعض الذى نعدهم أو تتوفينك فإلينا يرجعون) أى فإما ترينك فى حياتك بعض الذى نعدهم من العذاب والنقمة كالقتل والأسر يوم بدر فذلك ما يستحقونه ، أو تتوفينك قبل ذلك فإلينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم وننتقم منهم أشد الانتقام ونأخذهم وأخذ عزيز مقتدر .

ونحو الآية قوله : « فإمّا ترينك بعض الذى نعدهم فإنا ربيهم منتقمون أو ترينك الذى وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون » .  
ثم قال مسلماً رسوله :

(ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) أى وقد أرسلنا رسلاً وأنبياء من قبلك إلى أممهم ، منهم من أنبأناك بأخبارهم فى القرآن وبمآلاتهم من قورهم وهم خمسة وعشرون ، ومنهم من لم نقصص عليك فيه خبرهم ولا أوصلنا إليك علم ما كان بينهم وبين أقوامهم .

وعن أبى ذر قال : « قلت يا رسول الله كم عدّة الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثمانمائة وخمسة عشر جماعة غيراً » رواه الإمام أحمد .

(وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) أى وليس فى الرسل أحد إلا آناه الله آيات ومعجزات جادله قومه فيها وكذبوه ، وجرى عليه من الإيذاء ما يقارب ما جرى عليك فاصبر على ما أودى ، وكانوا يقترحون عليه المعجزات على سبيل

التعمت والعناد لا للحاجة إليها ، فكان من الحكمة عدم إيجابتهم إلى ما طلبوا ، ولم يكن ذلك بقادح في نبوتهم ، فلا عجب في اقتراح قومك عليك المعجزات التي لم يكن إظهارها صلاحا ، لاجرم إذ لم يجابوا إلى ما طلبوا ، لأن المصلحة في عدم إيجابتهم .

(فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) أى فإذا جاء أمر الله وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين قضي بالعدل فنجى رسله والذين آمنوا معهم ، وأهلك الذين افتروا على الله الكذب وجادلوا في آياته وزعموا أن له شركاء .

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩)  
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى  
الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨١) .

### المعنى الجملى

بعد أن أوعد المبطلين وبالغ في ذلك بما فيه العبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد — عاد إلى ذكر الدلائل على وجوده ووحدانيته بذكر نعمة من نعمه التي لا تحصى .

### الإيضاح

( الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ، ومنها تأكلون . ولكم فيها منافع وتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ) المراد من الأنعام هنا: الإبل خاصة ، لأنها ذات المنافع التي ذكرت في الآية ، وقد عد سبحانه لها الفوائد التالية :

(١) أكلها واستعمالها طعاما لهم ولضيغانهم وقد كانوا يتفاخرون بنحرتها عند قدوم الطارق .

(٢) لها منافع أخرى كالأوبار والأصواف التي تتخذ منها بيوت الشعير والملابس الصوفية وقد كانوا يستعملونها كثيراً ، والألبان التي تستعمل شرباً ويستخرج منها اللبن ليكون إداما لهم في طعامهم وسائر حاجتهم المعيشية والجلود التي تدبغ لتكون ثياباً وفرشاً على ضروب شتى .

(٣) استعمالها للنبجعة وطلب مساقط الغيث لحاجتهم إلى الكلاء والقوت لهم وملابستهم والسفر من صقع إلى صقع ومن قطر إلى آخر ، وهي لما لها من خفاء مفرطح أنسب حيوان للسير في رمال الصحراء ومن ثم قالوا «الجل سفينة الصحراء» وقال شاعرهم يصف ذلك :

مَافَرَّقَ الْأَلْفَ بِمَدِّ اللَّهِ إِلَّا الْإِبِلُ  
وما غرابُ البينِ إِلَّا ناقةٌ أو جملٌ

وقد كانت من أهم سبل المواصلات في الأزمنة الغابرة في البر كما كانت السفن كذلك في البحر .

ونحو الآية قوله في سورة النحل « وَاللَّهُ نِعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَمُرُّونَ . وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْبِ إِلَّا لَبِيقٌ آلَ نَفْسٍ » .

ثم ذكر أن هذه آيات من آيات الله الباهرة التي لا مجال للإنكارها فقال :

(وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ) أي إنه تعالى له آيات يراها خلقه عيانا

ويشاهدونها متجددة كل يوم وفي كل آن .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فأياً منها تنكرون، وبأيها تعترفون وهي ظاهرة بادية للعيان لاسبيل إلى جحدها .  
وقصارى ذلك — إنكم لاتقدرون على إنكار شيء من آياته إلا أن تعاندوا  
وتكابروا .

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ ، فَمَا أَغْنَى  
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا  
بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا  
بِأَسْنَأَ قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ  
يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَأَ ، سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ  
وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)

### المعنى الجملى

ختم سبحانه هذه السورة بتهديد الذين يجادلون في آياته طلبا للرياسة والجاه  
والحصول على المال وكسب حظوظ الدنيا ، وأبان أن هذه الدنيا فانية ذاهبة ،  
فما فيها من مال وجاه ظل زائل لا يفتنى عنهم من الله شيئا ، وقد ضرب لهم المثل  
بمن كانوا قبلهم ممن كانوا أكثر عددا وأشد قوة وآثارا في الأرض فلم ينفعهم شيء  
من ذلك حين حل بهم بأس الله ، ثم ذكر أن المكذبين حين رأوا البأس تركوا  
الشرك وآمنوا بالله وحده ، وأتى لهم ذلك ؟ ، وهيهات هيهات .

فذلك لا يجديهم فتىلا ولا قطميرا ، سنة الله في عباده ألا ينفع الإيمان حين

حلول العذاب .

صاح هل ريت أو سمعت براع رد في الضرع ما قرى في الحلاب

## الإيضاح

( أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ) أى أفلم يسيروا هؤلاء المجادلون في آيات الله من مشركي قريش - في البلاد ، فإنهم أهل سفر إلى الشام واليمن ، فينظروا فيما وطئوا من البلاد - إلى ما حل بالأمم قبلهم ، ويشاهدوا ما أحللتنا بهم من بأسنا حين تكذبتهم رسلنا ، وجحودهم بآياتنا ، وكيف كانت عاقبة أمرهم ، وقد كانوا أكثر منهم عدداً وأشد بطشاً وأقوى جنداً وأبقى في الأرض أثراً ، لأنهم كانوا يفتحون من الجبال بيوتاً ويتخذون مصانع وبينون أهراماً ضخمة فلما جاءهم بأسنا ، وحلت بهم نعمتنا لم يفن ذلك عنهم شيئاً ، ولا رد عنهم العذاب الذى حل بهم .

( فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ) أى فلما جاء هذه الأمم المكذبة للرسول من أرسلوا إليهم بالأدلة الواضحة والبراهين الظاهرة ، فرحوا بما عندهم من شبهات ظنوها علماً نافعا كقولهم : « وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ » وقولهم : « لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا » وقولهم : « مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟ » ولكن حل بهم ما كانوا يستمتعجلون به رسلهم استهزاء وسخرية .

وقد سمي ما عندهم من العقائد الزائفة، وشبههم الداحضة علما تهكما واستهزاء بهم.

ثم ذكر حالهم حين عاينوا العذاب فقال :

( فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ) أى فلما عاينوا عذابنا النازل بهم قالوا آمنا بالله ، وكفرنا بتلك المعبودات الباطلة ، والآلهة الزائفة التى لا تجدى فتيلاً ولا قسطيراً .

ثم بين أن ذلك لا يفيدهم شيئاً فقد فات الأوان فلا يفيد الندم ولا الاعتراف بالحق شيئاً .

ندم البُغاةُ ولات ساعة مندم والبنى مرثعٌ مبيغيه وخيمٌ

فقال سبحانه :

( فلم يك يفقههم إيمانهم لما رأوا بأسنا ) أى فلم يفدهم إيمانهم عند معاينة عقابنا وحين ينزل بهم عذابنا ، بعد أن مضى فيهم حكماً ، فمثل هذا الإيمان لا يفيد شيئاً كما قال تعالى لفرعون حين الفرق وحين « قال : آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ » — « الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ » .

وبعدئذ ذكر سبحانه أن هذه سنته فيهم وفي أمثالهم من المكذبين فقال :

( سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ) أى وهكذا

كانت سنة الله في الذين سلفوا إذا عابوا عذابه لم يفقههم إيمانهم حينئذ ، بعد أن جحدوا بربهم وأنكروا وحدانيته وعبدوا من دونه من الأصنام والأوثان .

وقصارى ذلك — إن حكم الله في جميع من تاب حين معاينة العذاب ألا تقبل منه توبة ، وقد جاء في الحديث « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر » أى فإذا غرر وبلغت الروح الخلقوم فلا توبة ، ولهذا قال : « وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْبَاطِلُونَ » .

اللهم اقبل توبتنا ، واغفر حَوْبَتَنَا ، وآمن روعتنا ، واجعلنا من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله .

### بجمل ما حوته السورة الكريمة

- (١) وصف الكتاب الكريم .
- (٢) الجدل بالباطل في آيات الله .
- (٣) وصف الملائكة الذين يحملون العرش ومن حوله .
- (٤) طلب أهل النار الخروج منها لشدة الهول ثم رفض هذا الطلب .

- (٥) إقامة الأدلة على وجود الإله القادر .
- (٦) إنذار المشركين بأهوال يوم القيامة .
- (٧) قصص موسى عليه السلام مع فرعون وما دار من الحوار بين فرعون وقومه والذي يكتم إيمانه .
- (٨) أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر على أذى قومه كما صبر أولو العزم من الرسل .
- (٩) تعداد نعم الله على عباده في البر والبحر .

## سورة فصلت

هي مكية وآياتها أربع وخمسون ، نزلت بعد غافر .

أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال : « اجتمعت قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي فرق جماعتنا ، وشت أمرنا ، وعاب ديننا فليكنمه ولينظر يم يرد عليه ؟ فقالوا مانع أحدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا انتم يا أبا الوليد ، فأتاه فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟ ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال عتبة فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فنكلم حتى نسمع قولك ، أما والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا ، وشت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا ، وأن في قريش كاهنا ، والله ما تنتظر إلا مثل صيحة الحلي أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف ، يارجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا